مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 07 (02) جوان 2023 ص ص 890-907

قراءة ابستيمولوجية لإشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية

An Epistemological Reading of the Problematic Approach in the Social Sciences

فقير محمد رسيم*

جامعة تلمسان (الجزائر).

البريد الالكتروني: racimfekir@gmail.com

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
10/12/2022	23/04/2023	01/06/2023

الملخص: يهدف هذا البحث إلى مقاربة إشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية بالتطرق إلى معضلاته المصطلحية والابستيمولوجية والنظرية وكذا توجهاته العلمية وتطبيقاتها الميدانية في التحقيقات التي أجراها كل من أودولف كيتليه في كتابه محاولة في الفيزياء الاجتماعية وإيميل دوركايم Durkheim في كتابه الانتحار وفريديريك لوبلاي Frédéric Le Play في كتابه حول العمال الأوروبيون، وبعدها توصلنا إلى بعض النتائج أهمها أن مسالة المنهج في العلوم الاجتماعية خطت خطوات هامة في التأسيس الابستيمولوجي والقطيعة مع المعارف غير العلمية وذلك بفضل كل من ابن خلدون وديكارت Descarte وبشلار BACHELARD وكتليه Quitlet وكونط Comte فبالنسبة لابن خلدون فقد وضع أسس المنهج الاجتماعي وحدد موضوع علم الاجتماع وكشف القوانين التي تتحكم في الظواهر الاجتماعية أما كونط Comte ودوركايم Durkheim وكتليه فقد ساهموا كلهم في تحقيق علمية ووضعية المنهج في علم الاجتماع باستخدام التجربة، الملاحظة، الفرضية والسببية والتي أفسحت المجال تدريجيا لمنهج البحث في علم الاجتماع ليصبح مستقلا عن الفلسفة والدين والأخلاق ويحقق نفس الدقة والمصداقية العلمية الموجودة في العلوم الطبيعية.

الكلمات المفتاحية: *المنهج، البحث، الوضعية، الظاهرة الاجتماعية، العلوم الاجتماعية.*

Abstract: This research aims at approaching the problematic approach of the curriculum in the social sciences by addressing its terminological, epistemological and theoretical dilemmas, as well as its scientific orientations and their field applications in the investigations conducted by Adolph Quetlet in his book “An Attempt at Social Physics”, Emile Durkheim in his book” Suicide” and

* **المؤلف المرسل**

Leplay Frederich in his book on “European Workers”. We have reached at some results; the most important is the issue of the curriculum in the Social Sciences that has made important strides in the establishment of epistemology and break with non-scientific knowledge, thanks to Ibn Khaldoun, Descartes, Bachelard and Kant. For Ibn Khaldun, he laid the foundations of the sociological method, defined the subject of sociology; and revealed the laws that control social phenomena. As for Kant, Durkheim and Quetlet, they all contributed to achieving the scientific and status of the method in sociology using experiment, observation, hypothesis and causality, which gradually gave way to the research method in sociology to become independent of philosophy, religion and ethics and achieve the same scientific accuracy and credibility found in the Natural Sciences

Keywords: *Curriculum; research; positivism; social phenomena; social sciences*

مقدمة:

تهدف هذه المداخلة لمقاربة وقراءة اشكالية المنهج في العلوم الاجتماعية بالتطرق إلى معضلاته المصطلحية مع ابن خلدون وديكارت Descartes والإبستمولوجية مع غاستون باشلار Gaston Bachelard وريمون بودن Raymond BODON ومقارباته العلمية مع كلود برنارد Claude BERNARD واوغست كونط August Comte وتطبيقاته الميدانية في التحقيقات التي أجراها كل من كتليه ودوركايم Durkheim ولوبلاي فردريك وإذا كان من الصعب في دراستنا الالمام بكل المقاربات المنهجية إلا أن هذا لا يمنعنا التطرق اولا الى مقاربة مفهوم المنهج عند مؤسسيه الأوائل ابن خلدون وديكارت وعند معاصريه غاستون باشلار Gaston Bachelard وريمون بودن ثم التعرض الى المقاربة المنهجية الوضعية التي طالما سلمت بالثنائية والازدواجية بين منهج العلوم الطبيعية ومنهج العلوم الاجتماعية لتتمخض عنها توجه منهجي كمي إحصائي وتجريبي وقبل الخوض في هذه المسائل والإجابة عنها تبين لنا طرح بعض الأسئلة الإشكالية التالية: كيف ساهم كل من ابن خلدون وديكارت وغاستون باشلار Gaston Bachelard في التأسيس الابستمولوجي لمنهجية البحث العلمي في الظاهرة الاجتماعية؟ وإلى أي مدى ساهمت التحقيقات السوسوسيولوجية التي أجراها كل من دوركايم Durkheim وكتليه

ولوبلاي في تحقق علمية الظاهرة الاجتماعية؟ وهل بإمكان الباحث في العلوم الاجتماعية أن يتبع نفس المنهج الذي يسلكه عالم الطبيعة وهل بإمكانه أن يفصل بين ذاته وموضوع بحثه؟.

1. البوادر الأولية لاستخدام المنهج العلمي وتعريفه الاصطلاحي وتأسيسه الابستمولوجي:

1.1 البوادر الأولية لاستخدام المنهج العلمي :

تعود البوادر الاولية لاستخدام المنهج العلمي في دراسة الظواهر الاجتماعية الى المؤرخ والمفكر الاجتماعي ابن خلدون الذي استخدم معظم المناهج المستخدمة اليوم في العلوم الاجتماعية من ملاحظة ومقارنة وسببية ونقد واستقراء واستنتاج في دراسة ما يسميه بالعمران البشري والذي تضمنه كتابه المقدمة اذ يقول أن التاريخ محتاج الى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبيت يفضيان بصاحبها الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لان الاخبار ادا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فلربما لم يؤمن فيها من العثور كما يقول ابن خلدون ان في باطنه اي التاريخ نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق.

انطلاقا من هذه المقولة يتبين لنا ان مفهوم المنهج حسب ابن خلدون يحتاج الى ما يسميه بالمأخذ التي يعني بها المصادر والمناهج المتعددة او ما يسمى حاليا بتعددية التخصصات والعلوم وحتى يكون عمل المؤرخ منهجي لابد ان يبدا دراسة الوثيقة في حد ذاتها كاثر مادي ورق او حجر بغية التأكد من ان الوثيقة لم يمتد إليها التزوير ولم تؤثر فيها الطبيعة في هذه الحالة يستعين المؤرخ بعلوم مساعدة كالتحليل الكميائي اي علم الكيمياء لمعرفة تاريخ الورق الذي كتبت عليه الوثيقة او زمن الحبر كما يمكن أن يستعين المؤرخ بالبيوغرافيا وهي الفن الذي يستخدم في قراءة خطوط اللغات القديمة كما يستعين

المؤرخ بفقه اللغة لتفسير الألفاظ والقواعد النحوية إلى كانت متبعة في العصر الذي كتبت فيه اذ كثيرا ما تنشا الاخطاء التاريخية بسبب عدم فهم المؤرخ للدلات الحقيقية للكلمات او سبب جهله لقواعد اللغة كما يحتاج الباحث الى معرفة الظواهر الاجتماعية والاقتصادية وعلوم أخرى.

إن التساؤل المنهجي الذي طرحه ابن خلدون في كتابه الاول من المقدمة المعنون في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلمام بمغالط المؤرخين تمحور في كيفية جعل التاريخ كمعرفة علمية او وضعية لأن التاريخ في عصر ابن خلدون كان بعيدا عن نظامه العلمي مصنفا ضمن الاسطوغرافيا أو ما يسمى بسرد الحادثة التاريخية التي طالما انتقد بن خلدون منهج مؤرخيها ورواتها الذين ارتكبوا الكثير من الاخطاء اذ يقول ان فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وابتدعوها وزخارف من الروايات ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال بانحيازهم وتشيعهم وتعصبهم للمذاهب وثقتهم بالناقلين وعدم نقدهم للأخبار وذهولهم عن المقاصد وتوهمهم الصدق وتقربهم لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح بعرض كرنولوجية الملوك وسياستهم واقتصارهم بذكر بيوغرافية الأنبياء وسيرتهم ثم جاء اخرون بإفراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقصار مقطوعة الانساب موضوعة عليها اعداد ايامهم بحروف الغبار إذا تعرضوا لذكر الدولة نسخوا اخبارها نسخا محافظين على نقلها وهما أو صدقا لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد الى افتقاد أحوال مبادئ الدول ومراتبها مفتشا عن أسباب تراحمها وتعاقبها بهدف احداث قطيعة ابستمولوجية مع المنهج التقليدي للتاريخ الاسطوغرافيا قام ابن خلدون بتأسيس علم التاريخ او بما يسميه بعلم العمران البشري او علم الاجتماع حاليا ويشير ابن خلدون الى هذا العلم الجديد قائلا وكأنه علم مستقل بذاته اعثر عليه البحث فانه ذو موضوع وهو العمران البشري

والاجتماع الإنساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد الأخرى وهذا شان كل علم من العلوم وضعيا كان او عقليا.

يشرح ابن خلدون منهجه العلمي الذي اتخذه في دراسة الظواهر او ما يسميه بالعوارض والأحوال في كتابه الأول المعنون بالعمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذاك من العلل والأسباب بقوله فهذبت مناحيه اي التاريخ وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا واخترعته من بين المناحي مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة وأسلوبا وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية بعلل الكون وأسبابها يضيف ابن خلدون وفي باطنه أي التاريخ نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر يذكر لنا ابن خلدون مقطعا مهما يلخص فيه منهج بحثه في قوله ولم اترك شيئا في أولية الأجيال والدول وتعاصر الأمم وأسباب التصرف والحلول في القرون الخالية والملل وما يعرض في العمران من دولة وملة ومدينة وكثرة وقلة وعلم وصناعة وكسب واحوال متقلبة وبدو وحضر إلا واستوعبت جمله وأوضحت برهانه وعلله (ابن خلدون، 1993)

انطلاقا مما ذكرناه يتضح ان المنهج العلمي لابن خلدون أحدث قطيعة أبستمولوجيا بين الاسطوغرافيا والتاريخ تحققت بفضل فلسفته التاريخية وواقعية فكره الاجتماعي الذي احاط بعصره.

2.1 التعريف الاصطلاحي للمنهج العلمي وتأسيسه الابستيمولوجي:

إن كلمة طريق أو "منهج" مستعارة من الكلمة الاغريقية Méthodos المشتقة حرفيا من البادئة méta التي تشير في معناها العربي الى "عن طريق" أو "ب" أما اللاحقة hodos تعني بالعربية "طريق أو مسار أو مسلك" وبالتالي فان المنهج هو عبارة عن طريقة بحث مدبرة ومنطقية ومنسقة يسلكها الباحث للوصول إلى هدف، في الفلسفة يشير

المنهج إلى ترتيب الأفكار والمواضع بشكل نظامي ومنطقي ويعتبر "رونيه ديكارت"1596 .1650 أول من استخدم كلمة المنهج في كتابه مقال حول المنهج 1637 الذي حدد فيه أربعة تعاليم ومبادئ منهجية يلتزم بها الباحث في أي علم من العلوم للوصول إلى أصل الحقيقة وهي كالأتي:

قاعدة البداهة يبدو جليا في هده القاعدة تأثر ديكارت بالرياضيات حيث نجده قد نقل قاعدة البداهة من الرياضيات الى الفلسفة فالبداهة عند ديكارت هي كل ما يقدم الى العقل بكل وضوح وبكل دقة لا يمكن الشك فيه وهي نوع من الحدس ضرب من المعرفة العقلية يصل الى هدفه بصفة مباشرة.

القاعدة الاولى للبداهة يؤكد فيها ديكارت الا اقبل شيئا على انه حق ما لم اعرف بوضوح انه كذلك اي يجب تجنب التسرع بالأحكام السابقة والا ادخل في احكامي الا ما يتم لعقلي في وضوح وتميز يزول معهما كل شك.

القاعدة الثانية تتمثل في التحليل أو التقسيم اذ يقول ديكارت أن اقسم كل واحدة من المشكلات التي ابحثها إلى أجزاء كثيرة وبمقدار ما يبدو ضروريا لحلها على أحسن الوجوه فالتحليل في المنهج الديكارتي قائم على تقسيم المشكلة إلى ما يمكن من الأجزاء ليتم تبسيطها وتوضيحها أكثر القاعدة الثالثة تتمثل في التركيب أو الترتيب إذ يقول ديكارت أن ارتب أفكاري فأبدأ بالأمور الأكثر بساطة وأيسرها معرفة حتى أصل شيئا فشيئا وبالتدرج إلى معرفة أكثرها تعقيدا مفترضا ترتيبا حتى ولو كان خياليا بين الأمور التي لا يسبق بعضها بعضا يقول ديكارت في هذه القاعدة أيضا أن أسير أفكاري بنظام بادئا بأبسط الأمور وأسهلها معرفة كي أتدرج حتى أصل معرفة الحقيقية (Descartes, 1637, P22.23).

أما مفهوم المنهج عند غاستون باشلار Gaston Bachelard فقد طرحه وفق مقاربة ابستمولوجية في كتابه تكوين العقل العلمي أين اعتبر فيه أن أول مرحلة منهجية تبدأ

بأحداث القطيعة الإبستمولوجية يقول فيها باشلار Bachelard إذا أراد شخصان أن يتفقا المطلوب منهما أن يختلفا لان الحقيقة هي بنت النقاش وليست بنت المجاملة كما يذهب باشلار Bachelard إلى تأكيد أطروحة مفادها أن هناك تعارضا بين الحقيقة والرأي كما يعتبر ان الراي عائقا معرفيا يحول دون بلوغ الحقيقة ولذلك يجب تخطيه ذلك أن الرأي تفكير سيئ بل انه لا يفكر إطلاقا لأنه يترجم ويعكس الحاجات إلى معارف وبتعيين الاشياء حسب فائدتها يمتنع عن معرفتها لا يمكن تأسيس أي شيء على الرأي بل ينبغي هدمه فالراي هو أول عائق يلزمنا تخطيه كما أن الرأي معطى جاهز في مقابل الحقيقة التي تبنى عن طريق العقل وهذا ما جعل باشلار Bachelard يعتبر أن الرأي عائقا ابستمولوجيا في بناء المعرفة العلمية. (Bachelard, 1967, p13)

ان الفكر العلمي يمنعنا من تكوين راي حول قضايا لا نفهمها وبالنسبة للفكر العلمي تعتبر كل معرفة جوابا عن سؤال وإن لم يكن سؤال فمن غير الممكن قيام اية معرفة علمية لا شيء يحدث تلقائيا لا شيء يعطى كل شيء يبنى (Bachelard, 1967, p 14).

أما مفهوم المنهج عند ريمون بودن فقد طرحه وفق مقاربة تقنية أكثر منها ابستمولوجية حيث يعتبر أن مصطلح المناهج يشير إلى تقنيات الملاحظة وتحليل المعطيات ومن وراء هذه التقنيات الوصفية المناهج هي ايضا مجموعة من المبادئ التي توجه العلماء لإعداد نظريات جديدة من اجل تحليا نقدي للنظريات الموجودة أن معرفة المناهج يقتضي دراسة معمقة للنظريات السوسيولوجية المتواجدة التي أخذت بعين الاعتبار الظواهر الكبرى. مثلا ما هو مصدر التفاوت في الحظوظ المدرسي ما هو دور الذي أدته البروتستانتية في ظهور الرأسمالية؟ حسب ريمون بودن نقطة بداية أي تحقيق سواء كان كميا أو كيفيا ينطلق عموما بطرح سؤال من نوع لماذا يختلف الانتحار حسب الأزمنة والأمكنة؟ لماذا نقرر الانتخاب على مترشح ما؟ لماذا الحال التنظيمي للمؤسسة هو جيد؟

فبالنسبة إلى المناهج الكمية تسمح بجمع معلومات يمكن مقارنتها من عنصر إلى آخر هذه العناصر غالبا ما تكون أفراد أو جماعات أو مؤسسات أو أنماط أخرى حسب ريمون بودن يوجد أربعة مراحل في استخدام المناهج الكمية أولا صياغة الفرضيات ثانيا تشكيل مخطط الملاحظة ثالثا تشكيل الفرضيات ورابعا تحليل العلاقات بين المتغيرات (Boudon,1969, P31-32).

2. المقاربة المنهجية الوضعية: تجريبية وعلمية العلوم الاجتماعية

إن تطبيق المنهج التجريبي في دراسة الإنسان يقودنا العودة إلى الفيزيولوجي Claude Bernard (1813-1878) في كتابه: "مقدمة لدراسة الطب التجريبي" 1865 الذي وضح فيه الطريقة والمنهج التجريبي الذي يمكن أن يستلهمه الملاحظ في علم الاجتماع حينما يقول إذا كان المستجوبين يبحثون مغالطة الباحث بأمنيات كاذبة أو شهادات خاطئة يجب على الباحث أن يدفع بالباطل لكي يتوصل لأصل الحقيقة أو الصواب وباختصار الإنسان له معياريين من التفكير الأول داخلي وشعوري أكيد ومطلق بينما الثاني هو خارجي لاشعوري يكون تجريبي ونسبي وبالتالي فان التجربة على الإنسان حسب تعبير Goethe تكون وسيطة بين الموضوعي والذاتي بمعنى بين العالم والظواهر المحيطة به فالمجرب في العلوم الطبيعية يجد أمامه ظواهر طبيعية تجعله مثل المتفرج الذي يلاحظ حلقات ثابتة هذه الظواهر الطبيعية هي بمثابة شخصيات بالنسبة للملاحظ لا تعرف لا اللغة ولا الآداب، ليس بإمكانها مغالطته بشهادات خاطئة الأمر الذي يستدعي الملاحظ أثناء دراسته للإنسان إتباع نفس المنهج التجريبي للعلوم الطبيعية لتأويل وافتراض أسباب الحركات التي نراها صادرة عن الإنسان والكلمات التي نسمعها منه أحاسيسه وأنماط تعابيره عن طريق محاولات مختلفة يطلق عليها تجارب. (Bourdieu, Chamboredon, Passeron, 1968. p166.167).

وفي ميدان العلوم عرفت العلوم الدقيقة تطورا كبيرا في استخدام المنهج التجريبي بظهور الهندسة Geometries مع الروسي Lobachevski (1793-1856) والألماني Riemann، وعلم الفيزيولوجيا مع Louis Pasteur (1822-1896) و claude Bernard(1813-1878)، ثم البيولوجيا مع Darwin (1809-882)، بعد ذلك الكيمياء العضوية مع Berthelot (1827-1907)، وأيضا اكتشاف الراديو مع Pierre Marie curie

أما استعمال المنهج التجريبي في العلوم الإنسانية جاء كنتيجة منطقية لإنجازات العلمية التي حققتها العلوم الطبيعية في المجالات السابقة الذكر وغرض تعميمها إلى العلوم الإنسانية بداية مع Herbert Spencer (1820-1903) الذي كان أول من حاول تطبيق نظرية التطور البيولوجي على الحياة الاجتماعية في كتابه المعنون ب: "مبادئ علم الاجتماع" الذي نظر فيه إلى المجتمع ككائن عضوي تتحول فيه الأشياء المتجانسة إلى الأشياء متغايرة ومختلفة، كل منها يختص بأداء وظيفة معينة تختلف عن الوظائف الأخرى، يقول سبنسر بأن الأفراد في المجتمع يتصلون فيما بنهم ويشكلون المجموع الكلي المتكون من علاقاتهم المتشكلة والمتداخلة، وهذا المجموع الكلي هم المجتمع وهو عضوي Organique أي يشبه الكائن العضوي من حيث الوظائف على اعتبار أن الكائن يتألف من أجهزة متداخلة وكل جزء أو جهاز يقوم بوظيفة تتكامل مع وظائف الأجهزة الأخرى (Spencer, 1891, P700)، تعتبر النظرية التطورية لسبنسر التي استلمها من داروين أن الكائنات الحية قد خضعت لعملية تغير وتطور تحت تأثير عوامل طبيعية وأدت هذه العملية إلى موت وانقراض حيوانات لضعف تكوينها البيولوجي ولكن حيوانات أخرى استطاعت التكيف والصراع من أجل البقاء وحسب هذه النظرية فإن الكائنات الحية مرت بمراحل خلال تطورها من الأشكال البسيطة البدائية إلى الأشكال الأكثر تطورا وقد تأثر سبنسر بفكرة التطور وراح يسقطها لدراسة المجتمعات البشرية، هذه الأخيرة التي بدأت في شكلها الأولي عبارة عن جماعات معتبرة ومتجزأة "Hordes" لها نفس المستوى الثقافي

ولاقتصادي والاجتماعي، هاته المجتمعات يطلق عليها سبنسر بالمجتمعات المتجانسة Homogène Société التي سادت المرحلة العسكرية والإقطاعية التي مر بها المجتمع البشري، بعدما تطورت هذه المجتمعات وخضعت إلى تقسيم العمل الاجتماعي بفعل الثورة الصناعية تحولت إلى مجتمعات معقدة ومتطورة يطلق عليها سبنسر بالمجتمعات المتغايرة أو غير متجانسة Hétérogène Les sociétés التي تسود المجتمعات الصناعية.

1.2 أوغست كونت:

بالإضافة إلى هربرت سبنسر Herbert Spencer يوجد العديد من المفكرين والفلاسفة والمهندسين الذين حاولوا إرساء المنهج التجريبي في العلوم الإنسانية والاجتماعية أمثال أوغست كونط August Comte، وإميل دوركايم Emil Durkheim، سان سيمون SAINT SIMON أو ما يطلق عليهم بالوضعيين: Les Positivists رواد المدرسة الوضعية أوغست كونط Comte الذي يعتبر أول من اصطلح اسم علم الاجتماع سنة 1839 بعدما أطلق عليه في بداية الأمر بمصطلح الفيزياء الاجتماعية بمعنى علم الذي يدرس المجتمع بنفس الطرق العلمية والتقنيات المستخدمة في العلوم الدقيقة والطبيعية: الملاحظة: التجربة، السببية، الموضوعية والحياد العلمي، من خلال كتاباته الأكاديمية: "محاضرات في الفلسفة الوضعية Cours de Philosophie Positive" دراسات الفلسفة الاجتماعية "Corpuscules de philosophie Sociale" التي ظهرت خلال الفترة الممتدة ما بين 1819 إلى 1829، دعي إلى إصلاح اجتماعي للقضاء على حالة الفوضى الأخلاقية التي سببتها الثورة الفرنسية السياسية التي تمكنت من القضاء على النظام القديم بامتياز إلا أنها عجزت في إعادة بناء المجتمع الفرنسي الأمر الذي أدى إلى شيوع اضطرابات وعنف دموي، للخروج من الحالة الفوضى اقترح كونط Comte فلسفة وضعية وفكرية هدفها خلق تضامن اجتماعي يعوض القيم الدينية التقليدية للكنيسة، هذه الفلسفة تتألف من المبادئ والأفكار المبينة على العلم حتى يقبلها الناس فيتوحد تفكيرهم.

إن المنهج الوضعي عند كونط Comte يقوم على قاعدتين ملاحظة الاحداث والظواهر بالابتعاد عن الاحكام القيمية والقاعدة الثانية إصدار قوانين يلخص كونط Comte مصطلح العلمي أو الوضعي le positif في كل ما هو واقعي ملموس réel ومادي matériel ومفيد utile ومؤكد certain ودقيق précis وحقيقي وملموس قابل للتحقيق وذو منفعة (Librairie Germer Baillere 1867,P165) ليتبين لنا أن هناك علاقة وطيدة بين الامبريقية والوضعية لان هذه الأخيرة ترفض اخذ بعين الاعتبار كل الاقتراحات التي لا تدعم التطابق مع الأحداث الملحوظة حينما يقول كونط Comte أني اقر واعتبر الوضعية بمثابة طريقة خاصة للتفلسف ترتكز على النظر في النظريات وترتيب الأفكار وربط الأحداث الملحوظة أن المنهج الوضعي يفترض على العقل البشري التمسك بملاحظة القوانين الفعلية للظواهر بمعنى العلاقات الثابتة المتتالية والمتشابهة (قاسم، 1953، ص 226.227).

إن العقل الوضعي الحقيقي يرتكز خاصة على الملاحظة من اجل التنبؤ ودراسة ما هو كائن حتى نستخلص ما سوف يكون حسب كونط Comte يعود السبب في فشل المفكرين الاجتماعيين لتأسيس علم الاجتماع إلى اعتمادهم على المنهج الميتافيزيقي من جهة ومن جهة أخرى فإنهم لم يكونوا يرغبون في معرفة القوانين بقدر ما كانوا يرغبون في الإصلاح الاجتماعي لذلك رأى كونط Comte ان استخدامه للمنهج الوضعي في دراسة المجتمع الإنساني سيسمح باكتشاف قوانينه الدقيقة إلي تشبه قوانين الطبيعة يقول كونط Comte سوف اشعر الناس عن طريق الواقع نفسه ان هناك قوانين لنمو النوع الإنساني تبلغ في دقتها قانون الجاذبية الذي يخضع له سقوط الحجر.

يرى كونط Comte انه مثلما تدرس الفيزياء والكيمياء القوى أولا في حالتها المتوازنة ثم ثانيا في حالتها الديناميكية الحركية علم الاجتماع هو بدوره يجب عليه أن يضم في دراسته جزأين رئيسين الاستاتيكا الاجتماعية والديناميكية الاجتماعية (Giraud

2004.P58) الأولى تدرس الحالات الثابتة للمجتمعات والبحث في قوانين توازنها في كل مرحلة زمنية يسعى فيها الأفراد للترابط والتضامن الاجتماعي وبالتالي فإن الاستاتيكا تحاول تحديد مكونات هذه الروابط التواصلية بين الحضارات مثلا الحالة العلمية التي تتوافق مع الحالة الدينية والأخلاقية أو الفنية أو الصناعية. عموما السوسويولوجيا الاستاتيكية حسب كونط Comte تدرس الظواهر الاجتماعية في حالتها المتداخلة والمترابطة كل واحد فيها يؤثر على الأخر والتغير فيها يكون من الداخل بينما الديناميكية الاجتماعية تدرس الوسائل التي تسمح للمجتمعات التطور نحو الأمام بطريقة سلمية غير عنيفة وهذا ما أطلق عليه كونط Comte بقانون الحالات الثلاثة الحالة الأولى لاهوتية والحالة الثانية ميتافزيقية والحالة الثالثة علمية هذه الأخيرة فرضت نفسها وعمت مبكرا في العلوم الرياضية ثم تدريجيا في الفيزياء ثم الكيمياء وبعدها في البيولوجيا وأخيرا حتما ستطبق في دراسة المجتمع وفق تخصص علم الاجتماع إلا أن هذا العلم حسب ما لاحظه ريمون ارون Aron له اولوية منهجية تتمثل في أولوية التركيب على التحليل وأولوية الكل على الجزء له مشروع تاريخي يكمن في الكائن الإنساني (Giraud 2004. p58).

الأمر الذي جعل كونت يصنف العلوم ويرتبها حسب الأهمية والتعقيد نزولا وصعودا إلى ستة أصناف: الرياضيات، الفلك الفيزياء، الكمياء، البيولوجيا، والسوسيولوجيا (Lallement, 1993, PP 52-55).

ما يمكن استخلاصه من وضعية كونت أنها تفسر الظواهر الاجتماعية ومعرفة قوانينها دون الخوض في عللها الاولى والميتافيزيقية الغيبية، لأن الوضعية هي المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل تطور الفكر البشري، بعدها مر بالحالة اللاهوتية، الحالة الميتافيزيقية ثم الحالة الوضعية.

2.2 إيميل دوركايم Emil Durkheim:

إيميل دوركايم Emil Durkheim هو بدوره حاول إرساء علمية العلوم الاجتماعية والإنسانية في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع، 1895، أين أولى فيه اهتماما خاصا بما يسميه بالحدث الاجتماعي Fait social أو الظاهرة الاجتماعية التي حدد مميزتها في تعريفه لها والتي هي كل ضرب من السلوك مثبتا كان او غير مثبت يمكن ان يؤثر على الفرد ضغطا خارجيا على الأفراد تتسع إلى حدود مجتمع ما مع الحفاظ على كيانها وعدم خضوعها للتصرفات الشخصية أو الفردية.

انطلاقا من التعريف المذكور اعلاه يتضح لنا القواعد المنهجية للحدث الاجتماعي

-اعتبار الظاهرة الاجتماعية كشيء مادي ملموس قابل للملاحظة والقياس والتجربة. فالشيء هو كل ما تمكن دراسته وملاحظته من الخارج أو بعبارة أخرى الشيء هو كل موضوع للمعرفة لا يصل إليه العقل إلا إذا خرج عن انطوائه على نفسه وحاول فهمه عن طريق الملاحظة والتجربة (Durkheim ,1895 p20).

- ميزة القهر والقدرية الاجتماعية بمعنى أن ا لحدث الاجتماعي لا يترك حرية الاختيار للفرد. فالمرء إذا ادى واجبه كاخ او زوج او مواطن وانجز مواثيقه فانه يؤدي واجبات لا تنبع من شعوره الذاتي بل تأتي من الخارج لان القانون والعرف هو الذي يحددها وهذا يعني انه إلى جانب استقلالية وموضوعية الظاهرة الاجتماعية فهي ملزمة اي انها تفرض نفسها على الأفراد ومما يدل على وجود القهر هو انه اذا حاول الفرد الخروج على احدى هذه الظواهر الاجتماعية شعر برد فعل يقوم به المجتمع ضده لان المجتمع هو الذي يشرف على سلوك الأفراد ويسلط العقاب على من تسول له نفسه التمرد عليه كما يحدث في العقاب المادي.

- عند ارتكاب الجريمة أو في العقاب الخلقي عندما يستحسن الاخرون سلوكه وهذا الجزاء الذي يهدف الى تثبيت العادات الخلقية والدينية والقضائية قد يكون ثوابا وقد يكون عقابا (محمد بدوي، 1971 ص 166).

- الحادثة الاجتماعية هي موجودة قبل وجود الفرد وخارجة عن الوعي وضمائر الأفراد وبالتالي فان الحدث يحدث خارج الانسان اي في المجتمع مثلا.

استبعاد الاحكام السابقة او ما يسميها دوركايم Durkheim بـــ les prénotions

- الفصل بين الظاهرة الاجتماعية الصحية والظاهرة الاجتماعية الباثولوجية

الظاهرة الاجتماعية لها نوع خاص suisgeneris للدلالة على تميز الجماعي عن الفردي (Durkheim , 1895 p40).

سعيا منه لتطبيق هذه القواعد استخدم دوركايم Durkheim في كتاب الانتحار منهجية علمية ومعطيات كمية وإحصائية وتحليل سببي بين الفرضيات الانتحار ومتغير الحرارة الانتحار ومتغير الكحول والانتحار ومتغير الحالة العائلية الانتحار والوراثة الانتحار والعرق الانتحار والتضامن الديني هذه العلاقات الإحصائية استلهمها دوركايم Durkheim من كتليه هذا الأخير الذي زوده بمعطيات إحصائية وقوانين علمية التي أجراها حول ظاهرة الجريمة كما ذكرناها سالفا وقد انطلقت دراسة دوركايم Durkheim للانتحار من سؤال أولي يتمحور حول العوامل غير الاجتماعية للانتحار التي سعى دوركايم Durkheim الى دحضها بأحداث قطيعة ابستمولوجية مع المقاربات والدراسات السابقة للانتحار المقاربة الباثولوجية النفسية والمقاربة الجوية والمقاربة الوراثية والمقاربة العرقية ليتبين له بعد ذلك طرح سؤال إشكالي هذه المرة حول ما هي الأسباب الاجتماعية للانتحار والتي مكنته من تحديد وتعريف دقيق لظاهرة الانتحار الذي نجده في مقدمة كتابه حيث نقرا أن الانتحار هو كل حالة وفاة تنتج بشكل مباشر او غير مباشر عن فعل سلبي أو ايجابي تقوم به الضحية نفسها وهي عليمة بان هدا الفعل يؤدي إلى هذه النتيجة.

انطلاقا من هذا التعريف صاغ دوركايم Durkheim مجموعة من الفرضيات لمعرفة أسباب الانتحار أبرزها أن:

ضعف التضامن الاجتماعي عند البروتستانت أدى إلى زيادة نسبة الانتحار لان الدول البروتستانتية كالمانيا وانجلترا وهولندا شهدت نزعة فردانية اقتصادية وتجارية وأنانية وحرية للمعتقد الديني انعكست سلبا على حياتهم الاجتماعية بفقدان المعايير الدينية والأخلاقية أو ما يصطلح عليها دوركايم Durkheim بالانوميا والتي شكلت إحدى أسباب الانتحار بنوعيه الأناني والانومي اللذان عرفا انتشارا قياسيا في الأوساط الحضارية والصناعية واللائكية أين يسود تقسيم العمل والتنافس اللامحدود لإشباع الرغبات والمصلحة بين الأفراد خاصة في فترات الذروة والانفجار الاقتصادي الذي شهدته اوروبا في القرنين الثامن عشرة وتاسع عشرة بالمقابل ذلك لاحظ دوركايم Durkheim انخفاض نسبة الانتحار عند الكاثوليك لأنهم متضامنون اجتماعيا ومحافظون على شعائرهم وطقوسهم الدينية تحت وصاية سلطة أخلاقية مستقلة عن الفرد قد تكون كنيسة او رجل دين بالمقابل ذلك يوجد فرضية أخرى اضطرت بدوركايم Durkheim إلى إضافة متغير وسيط للتحليل السببي بين ارتفاع درجة الحرارة وارتفاع نسبة الانتحار للإشارة هذه الفرضية تبناها الوضعيين الايطاليين لومبروزو وفييري اللذين اعتبرا ان الحرارة تزيد من التهيج الفيزيولوجي وبالتالي الى الانتحار ولإثبات صحة هذه الفرضية قام دوركايم Durkheim بإضافة متغير وسيط يتعلق الآمر بريتم الحياة الاجتماعية أو طول مدة اليوم أو ما يسمى بالزمن الاجتماعي هذا المتغير الإضافي سمح لدوركايم Durkheim بتقديم ملاحظات هامة انطلاقا من معطيات إحصائية وجداول ارتباطية متعددة المتغيرات لتوزيع عدد المنتحرين حسب المتغير الحراري للفصول ومتغير ريتم النشاط الاجتماعي ليتوصل ان سبب الانتحار هو ناتج عن تأثير مزدوج الحرارة وريتم الحياة الاجتماعية حيث اثبت الإحصائيات أن اختلاف معدلات الانتحار لا ترتبط بالفصول فحسب بل أيضا بريتم

النشاط الذي يميز الأسبوع أين لاحظ دوركايم Durkheim ارتفاع الانتحار عند النساء مقارنة مع الذكور في نهاية الأسبوع وهذا راجع حسب تفسير دوركايم Durkheim إلى زيادة النشاطات المنزلية للمرأة في عطلة الأسبوع بالتوازي مع نشاطها المهني طيلة الأسبوع بالمقابل انخفاض النشاطات المهنية عند الذكور في آخر الأسبوع يقابله تراجع الانتحار عند هذه الفئة (Durkheim , 1986).

3.2 فريديريك لويلاي:

لقد اقترح فريدريك لوبلي F.leplay تأسيس علوم اجتماعية موضوعية شبيهة بعلم المعادن ــ في كتابه الشهير العمال الأوربيين" 1855 "Les ouvriers Européen" يقول: "لقد طبقت في ملاحظة المجتمعات الإنسانية قواعد شبيهة بذهنيتي في دراسة المعادن والنباتات" (Lazarsfeld , 1970.p134) ، حرصا منه على تطبيق المنهج والطريق العلمي في الظاهرة الاجتماعية قام Le play بدراسة ستة وثلاثون مونوغرافية حول العائلات العمالية الأوربية بهدف تحقيق اكبر قدر ممكن من تمثيلية النشاطات السوسيواقتصادية بواسطة متغيرات كمية درس فيها طبيعة الموارد والنفقات الاقتصادية العائلية، معتبرا أن أي مجتمع كان يمكن إدراكه بواسطة دراسة الكيانات الاجتماعية الضيقة مثل العائلة لأنها تعكس كل المشاكل الاجتماعية الآمر الذي أدى بلوبلاي le play بتعميم ثلاثة مبادئ منهجية في دراسته:

1- ملاحظة الوقائع

2- مسائلة العمال

3- إتمام المعلومات بواسطة الشهادات التي يقدمها الشخصيات المحلية.

من بين الرواد الذين ساهموا في إرساء علمية العلوم الاجتماعية نجد أيضا "أودولف كتليه A. Quételet" الذي اهتم في كتابه " محاولة في الفيزياء الاجتماعية " Essai de physique sociales" بتطبيق الإحصاء في ميدان الحياة الاجتماعية وهو مؤسس ما يسمى

بالهندسة الاجتماعية "sociale L'Ingénieries" التي تهتم بنشر إحصائيات اجتماعية حول الجريمة لتفادي الثورات، فالإحصاء حسبه ليس فقط للقياس بل وسيلة للرقابة الاجتماعية والأخلاقية، وبالتالي فإن كتليه يعتبر من الأوائل الذين قاموا بحساب نظريات الاحتمالات في الحياة الاجتماعية، شرحها في عملين علميين: العمل الأول عبارة عن مقال بعنوان "الإنسان ونمو قدراته" (1835) L'homme et le développent de ses facultés العمل الثاني بعنوان: قياس البشري، أو قياس قدرات الإنسان (1871) وهو أول من استعمل مصطلح الفرد المتوسط أو الإنسان المتوسط l'homme moyen بحيث قال أن بعض الحوادث الاجتماعية تتواتر بطريقة منتظمة ويمكن شرحها بالطرق الإحصائية كالتوزيع التكراري (عبد المجيد لبصير، ص362 -363).

الخاتمة:

كنتيجة منطقية لما قدمناه سابقا نستخلص أن مسالة المنهج في العلوم الاجتماعية حظية بتأسيس وقطيعة ابستمولوجية مع المعارف غير علمية بفضل إسهامات كل من ابن خلدون وديكارت Descartes وباشلار Bachelard وكل من اوغست كونت ودوركايم Durkheim وكتليه وغيرهم من الأسماء التي ذكرناها يمكن أن نستنتج من خلال تتبع مسلمات المقاربة المنهجية الوضعية وجود نية علمية intension de science حسب تعبير ريمون ارون Raymond Aron لهدف تحقيق علمية وتمثيلية وملاحظة الظواهر الاجتماعية من الخارج وتعميم نتائجها بواسطة الفرضيات والتجريب والإحصائيات وكما يقول ارون Aron بصريح العبارة لقد سجل علم الاجتماع في القرن التاسع عشرة لحظة وفترة تفكير الأشخاص حول ذواتهم.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

ابن خلدون عبد الرحمان، 1993، مقدمة *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر* دار الكتب العلمية ط1 بيروت.

قاسم محمود، 1953، المنطق *الحديث ومناهج البحث*، دار المعارف، مصر.

بدوي محمد، 1971، *مبادىء علم الاجتماع*، دار المعارف، مصر.

لبصير عبد المجيد، د س، موسوعة علم الاجتماع، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

المراجع باللغة الأجنبية:

Descartes Rene, 1673, Discours de la méthode librairie Larousse. paris, France.

Bachelard Gaston, 1967, La formation de l'esprit scientifique .5edition .librairie philosophique j.vrin.

Boudon Raymond, 1969, Les méthodes en sociologie .puf1969.

Bourdieu Pierre, Chamboredon jean Claude, Passeron Gean Claude, 1968, Le metier de sociologue. Ecole pratique des hautes études moutonnes.

Spencer Herbert, 1891, Principes de sociologie, éd Alcan, paris.

Revue de la philosophie positive. 1867, T1. Librairie germer baillere.

Giraud Claude, 2004, Histoire de la sociologie .puf, Paris.

Lallement Michel, 1993, Histoire des idées sociologique des origines, a. weber, 2eme éd, Nathan, France.

Durkheim Emil, 1895, Les règles de la méthode sociologique .Ed f. Alcan. Paris.

Durkheim Emil, 1986, Le suicide étude de sociologie, puf, paris.

Lazarsfeld Pierre, 1970, Philosophie des sciences sociales .ed Gallimard.